

الخميس 30-09-2010

1126-في شرف صحبة نجيب محفوظ



نجيب محفوظ في شرف صحبة

الحلقة الثالثة والأربعون

الخميس: 1995/3/10

ليلة حرافيشة أخرى، وصلت متأخراً، ولم يحضر أحد مظهر إلى فورت جراند، زحمة، ناس، الأستاذ في حالة طيبة، نام جيداً، وتكلم توفيق عن اسم رواية أظن أنها "Forsight Saga" وفهمت أن الاسم ليس بمعنى بعد النظر وإنما هو اسم العائلة "ساجا" سيرة عائلة ساجا، ويبعدو أنها رواية أجبيال، ثم جرى حديث عن فكرة رواية الأجبيال وعن توماس مان، وروايات الأجبيال عموماً، وقال الأستاذ إنهقرأ هذه السيرة وهي تقع في حوالي ستة آلاف صفحة، واستعمل تعبيراً شديداً الدقة قال "إن هذا الحكى لا ينمو، وإنما هو يسير بالطول". أن تصف الحكى بأنه ينمو أو لا ينمو فيه تركيز رائع لما هو إبداع، في مقابل ما هو سرد: "سير بالطول"، وأشار الأستاذ بيهه إلى الأمام إشارة المرءوق واليد في وضع التوسط، وأضاف "إن الحاكى يقول ويعيد ويضيف ويزيد نفس التيمة، ليلة بعد ليلة وجلسة بعد جلسة، وإلى ما شاء الله، وضحك، ثم قال: لعله خيراً، فإن الإنجليز لم يكن عندهم في ذلك الوقت إلا الجلوس بجوار الدفأة فماذا هم فاعلون، هات يا قراءة، وهم لا يريدون حينذاك أن تنتهي الرواية، وقد يكون هذا هو ما يحدد مثل ذلك قياساً هذه الأيام عندها مع المسلسلات التي تشغله كل وقت الناس.

ثم جرى حديث عن تشابه هذه الروايات، وأن هذا التشابه لا يعني سرقة ولا يحزنون، وإنما هو أصل واحد ولا يتميز إلا

بتشكيله الحكاوى، ثم إن الإنسانية كلها يمكن أن تختزل إلى بضعة خطوط درامية، لكن خذ عنك "كيف تتناول هذه الخطوط"، هذا هو الذى يجعل الحكى فنا روائيا (سبقت الإشارة إلى مثل ذلك) لكن هذا لا ييرر السرقة بالمعنى الذى يمكن أن يشيع هذه الأيام تحت زعم أية ميرات، فعندك مثلاً وحيد حامد السينارست، يعترف أنه لا يستطيع أن يكتب قصة واحدة ولو في صفحة واحدة، لكنه يتناول القصة ويوجوها إلى سيناريو بشكل ممتاز، فيعتبر وكأنه مؤلف القصة بشكلها التمثيلي، وحكي الأستاذ عن سيناريوست كان يعمل معه بالإسكندرية في قصة "إمبراطورية ميم" لإحسان عبد القدوس، وكان يشكوا له من عجزه عن كتابة القصة رغم حذقه لحبكة السيناريو كما ينبغي، وأن هذا لا يعيبه إطلاقاً، شريطة لا يتصور أنه صاحب القصة الذى صاغ لها السيناريو.

انتقلنا إلى منزل توفيق بعد أن تحدثنا مع أحمد مظهر لعدة مرات، كان التليفون مشغولاً، قال توفيق إنها مرحلة فخر الدين أو نادية لطفي، الأولى لا تكفى عن الحكاوى عن الناس، والثانية أكثر تحفظاً لكنها أطلق لساناً، وسأل الأستاذ عن عادل كامل، فهاتف توفيق أخيه بشرى، واطمأن عليه.

في المنزل عاد الحديث إلى رواية "مراعى القتل" لفتحى أمباجي، أنا الذى أعددت فتحى، لو علم مؤلف هذه الرواية كم شغلتنا روايته هذه لسر سروراً شديداً لأنها احتلت من الأستاذ هذه المساحة من الوعى والوقت، قلت لتوفيق لماذا لا يكتب السيناريو لهذه القصة فوراً، قال إن تصوير الحرب يحتاج إلى عشرات الآلاف من الجنierيات إن لم يكن مئات، قلت لكنك ستجد سبيلاً إلى الاختزال والإحالـة والإزاحة، قال دعـنا نرى أي منتج يقبل، وشرحـت للأستاذ تضـرـرـ تـيـارـاتـ الروـاـيـةـ الـثـلـاثـ حتى أصبحـتـ مثلـ ضـفـيرـةـ الفـلاحـةـ الجـمـيلـةـ المـتـجـمعـةـ فـضـيرـةـ وـاحـدةـ.

وحكى توفيق عن سيناريت طل لا يعمل عشرين سنة لأن المنتجين أصبحوا يختلفون منه بعد أن كلفهم ما لم يحسبون فيلم إبنة ريان مثلاً، فرحت حين ذكر توفيق فيلم إبنة ريان وقلت له عن نقصـىـ لهاـ، وأـنـهـ نـشـرـ فـيـ الأـهـرـامـ، وأـوـجـزـ لـهـ فـكـرـتـيـ عنـ التـقـابـلـ الـرـبـاعـيـ وـعـنـ الـقـسـ حـينـ يـتـعـرـىـ فـيـصـبـحـ عـنـيـناـ فـيـ مقـابـلـ العـاشـقـ الضـابـطـ العـدـوـ حـينـ يـتـعـرـىـ فـيـصـبـحـ مـسـخـاـ بـدـائـيـاـ، وـفـرـحـتـ لـفـرـحةـ توـفـيقـ بـهـذـاـ التـفـسـيرـ، وـوـعـدـنـىـ أـنـ يـخـفـرـ لـنـسـخـةـ مـنـ الـفـيلـمـ، وـوـعـدـهـ أـنـ أـخـضـرـ لـهـ النـقـدـ، وـأـنـ أـخـضـرـ لـهـ أـيـضاـ نـقـدـ الـفـيلـمـ الإـبـرـانـيـ "الـغـرـبـيـ وـالـضـبـابـ"ـ الـذـيـ ظـهـرـ لـنـقـدـهـ فـيـ نـشـرـةـ نـادـيـ السـينـماـ، حـكـيـتـ لـهـ أـيـضاـ عـنـ نـقـدـ أـيـضاـ لـمـسـرـحـيـةـ هـنـرـىـ الـرـابـعـ (ـبـيرـانـدـلـلوـ)ـ عـلـىـ مـسـرـحـ الـطـلـيـعـةـ وـقـدـ نـشـرـ فـيـ الأـهـرـامـ أـيـضاـ فـيـ دـنـيـاـ الثـقـافـةـ، وـحـينـ تـعـجـبـ الأـسـتـاذـ مـنـ إـسـهـامـاتـيـ هـذـهـ، وـكـأـنـ نـاقـدـ حـتـرفـ، أـكـدـتـ لـهـ أـنـنـىـ إـنـماـ أـصـنـفـ نـفـسـىـ بـاعـتـبارـيـ "ـمـتـلـقـ حـاـوـرـ"ـ لـأـكـثـرـ، فـأـنـاـ أـتـلـقـيـ بـصـوتـ مـسـمـوـعـ، أـوـ بـقـلـمـ جـاهـزـ، ثـمـ إـنـ أـرـصـدـ بـعـضـ هـذـاـ التـلـقـىـ فـكـلامـ مـكـتـوبـ دـوـنـ أـشـغـلـ نـفـسـىـ إـنـ كـانـ يـنـشـرـ أـوـلـاـ يـنـشـرـ، مـاـ دـمـتـ قـدـ سـجـلـتـهـ، وـهـوـ عـادـةـ يـنـشـرـ بـتـرحـيـبـ منـاسـبـ، هـذـاـ كـلـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ.

حـكـي تـوـفـيق كـيـف عـرـف "دـيـفـيد لـيـن" عـلـى صـدـيقـه أـنـتـوـنـي كـوـينـز اـنـتـاج فـيـلـم إـبـنـة رـيـان فـي حـدـود مـلـيـون دـولـار، لـكـنـه لـم يـفـلـجـع أـنـ يـكـمـل خـوـفـا مـن مـفـاجـات شـطـح التـكـلـفـة، ثـم اـنـتـقـل إـلـى الـخـدـيـث عـن فـاطـمـة رـشـدي، وـعـزـيز عـبـد، وـخـلـافـهـاـ مع يـوسـف وـهـي لـأـنـهـا تـأـخـرـت ذـات لـيـلـة، وـكـيـف اـسـتـقـلـت بـعـد ذـلـك عـن يـوسـف وـهـي وـفـتـحـت مـسـرـحـها وـصـارـ المـوـارـ وـالـتـنـافـسـ بـيـنـهـا وـبـيـنـ يـوسـف وـهـي مـثـلـماـ كـانـ بـيـنـ بـنـجـيـبـ الرـيجـانـ وـعـلـىـ الـكـسـارـ، وـذـكـرـ تـعـبـيرـ قـالـتـهـ فـاطـمـة رـشـدي لـيـوسـفـ وـهـي وـهـي تـعـلـنـ اـعـتـزاـزـهـاـ بـأـنـوـثـتـهاـ وـقـيـمـةـ ماـ يـعـكـنـ أـنـ جـنـيـهـ منـ وـرـائـهـ (!!!).

عـدـتـ أـسـأـلـ تـوـفـيقـ صـالـحـ يـكـنـ، لـوـ أـخـرـجـ مـرـاعـيـ القـتـلـ، وـهـيـ مـلـيـئـةـ بـصـورـ الـفـقـرـ الـمـدـقـعـ، أـنـ يـجـعـلـ الـمـمـثـلـ يـعـيـشـ الـفـقـرـ وـيـثـلـهـ، لـوـ كـانـ الـمـمـثـلـ غـنـيـاـ لـمـ يـعـرـفـ الـخـرـمـانـ أـصـلـاـ، وـضـرـبـتـ لـهـ مـثـلـاـ بـوـبـاـ لـوـلـادـيـ وـكـيـفـ أـنـتـكـنـتـ بـعـدـ ذـلـكـ عـنـ يـخـوـتـيـ نـفـرـكـ عـلـىـ الـبـيـضـةـ الـواـحـدـةـ، قـطـعـتـيـنـ مـنـ الـجـنـ الـقـرـيـشـ حـتـىـ تـكـفـيـنـاـ غـمـوسـاـ غـنـنـ، الـثـلـاثـةـ، فـعـرـفـنـاـ الـفـقـرـ وـالـتـوـفـيرـ بـرـغـمـ أـنـ أـيـ لـمـ يـكـنـ فـقـرـاـ، أـمـاـ أـوـلـادـيـ فـيـصـعـبـ عـمـامـاـ أـنـ أـقـدـمـ لـهـمـ مـعـنـ الـفـقـرـ، وـذـكـرـتـ لـهـ وـلـلـأـسـتـاذـ كـيـفـ أـنـتـعـمـلـ تـجـربـةـ مـحاـوـلـةـ إـشـعـارـهـمـ بـنـوـعـ مـنـ الـفـقـرـ أـثـنـاءـ رـحـلـتـنـاـ إـلـىـ الـخـارـجـ، (الـقـلـ سـلـلـتـهـاـ فـيـ الـتـرـحالـاتـ)ـ حـينـ أـعـطـيـتـ كـلاـ وـاـحـدـ مـنـهـمـ مـبـلـغاـ مـحـدـداـ مـنـ الـمـالـ لـلـأـكـلـ وـالـبـيـتـ وـالـفـسـحـ طـوـلـ الـرـحـلـةـ وـعـلـيـهـمـ أـنـ يـتـدـبـرـوـاـ أـمـوـرـهـمـ، لـكـنـ كـلـ هـذـاـ كـانـ تـمـثـيلـاـ لـضـيـقـ ذـاتـ الـيـدـ وـلـيـسـ وـاقـعاـ فـظـاـ، وـثـمـ إـنـ جـبـتـ عـنـ آـثـارـ عـلـاقـتـهـمـ بـهـذـهـ الـتـجـربـةـ بـعـدـ عـوـدـتـنـاـ فـوـجـدـتـ أـنـهـ لـمـ يـتـبـقـ مـنـهـاـ شـيءـ، قـالـ تـوـفـيقـ أـنـ وـظـيـفـةـ الـمـخـرـجـ وـالـسـيـنـارـيـوتـ هوـ أـنـ يـنـقـلـ حـالـةـ الـمـعـاـيـشـ مـثـلـاـ الـفـقـرـ الـمـهـيـنـ فيـ مـرـاعـيـ القـتـلـ، إـلـىـ الـمـمـثـلـ حـتـىـ يـنـسـىـ كـلـ مـاـ عـدـاـ أـنـهـ فـقـيرـ، أـنـتـيـ الـأـسـتـاذـ عـلـىـ تـعـبـيرـ يـوسـفـ وـهـيـ عـنـ الـفـقـرـ فـأـفـلامـهـ وـمـسـرـحـيـاتـهـ وـهـوـ إـنـ الـبـاشـاـ، وـأـنـهـ لـمـ يـتـمـيـزـ إـلـاـ فـأـدـوارـ الـفـقـرـ، وـأـنـ مـنـ أـعـظـمـ أـعـمـالـهـ هوـ أـوـلـادـ الـفـقـرـاـ، وـجـرـىـ حـدـيـثـ عـلـىـ عـلـاقـتـهـ بـأـمـيـنـةـ رـزـقـ الـتـيـ صـعـدـتـ عـلـىـ خـشـبـةـ الـمـسـرـحـ سـنـةـ 1926ـ وـهـيـ تـقـولـ إـنـهـ كـانـ عـنـدـهـ 14ـ سـنـةـ وـالـمـؤـكـدـ أـنـهـ كـانـ أـكـبـرـ مـنـ ذـلـكـ بـأـرـبـعـ سـنـوـاتـ عـلـىـ الـأـقلـ.

حـكـيـتـ لـلـأـسـتـاذـ عـنـ قـرـاءـتـيـ لـكـتـابـ جـانـتـبـ عـنـ الطـاهـرـةـ الشـيـزـيـدـيـةـ كـأـسـاسـ لـتـكـوـينـ الـبـشـرـ وـسـلـوكـهـمـ وـكـيـفـ قـرـأـتـ هـذـاـ الـكـتـابـ بـعـدـ أـنـ أـوـصـلـتـ زـوـجـتـ وـإـبـنـ لـيـاخـذـوـاـ الـمـرـكـبـ مـنـ فـيـنـسـيـاـ سـنـةـ 1969ـ فـأـمـطـرـتـ الدـنـيـاـ عـلـىـ وـأـنـاـ دـاـخـلـ الـخـيـمـةـ أـسـتـعـدـ لـلـعـودـةـ إـلـىـ بـارـيسـ، وـظـلـلـتـ عـبـوـسـاـ مـعـ الـكـتـابـ فـإـنـتـظـارـ تـوقـفـ الـمـطـرـ لـأـجـمـعـ الـخـيـمـةـ، حـتـىـ أـعـدـ قـرـاءـتـهـ مـرـتـيـنـ وـمـنـ يـوـمـهـاـ تـغـيـرـ فـكـرـيـ، وـقـلـتـ لـتـوـفـيقـ إـنـتـعـسـرـتـ فـيـلـمـ الـغـرـيـبـ وـالـضـبـابـ مـنـ هـذـاـ الـمـنـطـلـقـ، مـنـطـلـقـ الـعـلـاقـةـ بـالـمـوـضـوعـ، وـالـنـزـوـعـ لـلـعـودـةـ إـلـىـ الـرـحـمـ.

أـثـنـاءـ تـوـصـيـلـيـ لـلـأـسـتـاذـ، وـكـنـتـ فـيـ حـالـةـ حـرـافـيـشـيـةـ نـشـطـةـ شـجـتـ لـيـ أـنـ أـوـاصـلـ الـخـدـيـثـ مـعـهـ، قـلـتـ: إـنـ الـأـمـالـةـ تـتـجـلـيـ فـيـ إـبـدـاعـ الـقـيـقـيـ حـتـىـ لـوـ تـنـاـوـلـ فـكـرـةـ مـكـرـرـةـ، وـأـنـهـ بـقـدرـ مـاـ يـكـونـ الـمـبـدـعـ قـدـ عـاـيـشـ فـكـرـهـ مـاـ، اوـ حـدـثـاـ مـاـ فـيـ وـاقـعـ وـعـيـهـ، فـيـاـنـهـ

يستطيع أن يبعث فيه الخديد من خلال الشكل الذي يختاره ، فلا يجوز أن يقرأ أحدهم عملاً ، أو فكرة ، ثم يقول أنا سوف أكتب رواية عن هذه الفكرة ، في الأغلب سوف يفتقد مثل هذا العمل إلى الأصالة ، لكنه لو عاش الفكرة في عمق مستوى من الوعي ، ثم حضرته وهو يشكل إبداعه ، فإنها ستحضر جديدة مختلفة حتى لو كانت مكررة ، فيصدر العمل أصيلاً في شكله الجديد.

كان الأستاذ جالساً بجواري أثناء العودة ، ولم استطع أن أقيس مدى اخناء رأسه لأقرر مدى موافقته ، فرحت أنني قلت لهرأي وخف معه حتى أثناء قيادتي السيارة عائدين ، وفرحت أنه لم يأمرك أن انتبه للقيادة وأن أوجل الحكى عن مثل هذه الآراء إلى مكان آخر في حال آخر ،

يبدو أنني كنت أتكلم بالقصور الذاتي بعد هذه الليلة البهيجـة .

تصبح على خير أيها الرجل الجميل .